من ذلك «دفعت اسرائيل ثمناً غالياً لدى الرأي العام العالمي، بشأن مصطلح ' يجب تكسير عظام [الفلسطينيين]' . فقد أيّد رابين القيام بحملات الاعتقال، واغلاق المدارس لفترات طويلة، وسمح للجنود باطلاق النار بصورة أكثر خطورة. وعندما شعر بأنه بالغ في تصرّفاته، تراجع عنها، وأصبح أكثر اعتدالاً» (روزين، مصدر سبق ذكره).

وفي حقيقة الأمر، لقد كانت الاوساط العسكرية الاسرائيلية، المسؤولة عن تقويم الاوضاع في المناطق المحتلة، اكثر ادراكاً من المسؤولين السياسيين، بمدى عقم استخدام القوة في مواجهة الانتفاضة. وكانت الاوساط تلك هي السباقة في الدعوة الى البحث في حل سياسي للأزمة؛ والتحذير من ان تعثّر العملية السلمية سوف يترك انعكاسات خطرة على طبيعة المواجهات المقبلة، بين القوات الاسرائيلية والفلسطينيين.

ورأت الاوساط العسكرية نفسها ان الأزمة الحكومية في اسرائيل، وما تتضمّنه من معان بالنسبة الى استمرار المسيرة السلمية، سوف يؤثر، بصورة سلبية جداً. وتخشى الاوساط نفسها من ان تستخدم الأزمة الحكومية كـ «ذريعة لقفزات متدرجة» في عمليات شبان الانتفاضة. وهي تعتقد بأن الفلسطينيين يمارسون التزاماً ذاتياً في عدم استخدام الأسلحة النارية، على الرغم من وجود كميات كبيرة، نسبياً، من قطع السلاح. «لكن يجب ان يكون واضحاً، انه من اجل تغيير طابع الانتفاضة، ليس ثمّة حاجة الى استخدام كميات كبيرة من السلاح الناري. ويكفي بعض الحوادث، التي يستخدم فيها مثل هذا السلاح، كالمسدسات والبنادق، حتى تفتح للانتفاضة آفاق جديدة» (رؤوفين فدهتسور، هآرتس، ١٢/٣/١٩٩٠).

ولا تتوقع الاوساط العسكرية الاسرائيلية ان يتمّ تراجع للانتفاضة تلقائياً، كما يتوهّم بعض الاسرائيليين، وان من «يتوقع ان يدرك [الفلسطينيين] الاعياء، وان اعياءهم سوف يؤدي الى اخماد الانتفاضة، فانه لا يعرف الظروف على الارض، لأن قدرة [الفلسطينيين] في المناطق [المحتلة] على الاحتمال، هي أكبر من قدرة كثيرين في اسرائيل؛ ومن ضمنهم أولئك المحسوبون من جهاز الأمن» (المصدر نفسه).

ويقيناً، فان توقعات الاوساط العسكرية ليست بمثابة توقعات مجردة من مضامينها الفعلية. فخلال بضعة أيام من عمر الازمة الحكومية، بدأ ضباط كبار في الجيش الاسرائيلي بالاشارة الى الآثار الملموسة التي تركتها الازمة في تصعيد المواجهات في الاراضي المحتلة. وقد لاحظوا، خصوصاً، وجود عاملين رئيسين هما سببان في هذا التصعيد: «الازمة السياسية، وعدم اليقين في أوساط سكان المناطق [المحتلة] ازاء هوية رئيس الحكومة الاسرائيلية المقبل؛ وكذلك، التشجيع الذي وجده الفلسطينيون في اعلان ياسر عرفات انهم اسقطوا حكومة شامير، وان هذا كان جزءاً من النضال في اطار الانتفاضة» (ايتان رابين، هآرتس، ٢٦/٣/١٩٩٠). واكدت المصادر العسكرية نفسها، ان ما شهده قطاع غزة، مؤخراً، يعيد الى الذاكرة النشاط ذاته الذي كانت عليه الانتفاضة في شهورها الاولى. وقد ثبت، بشكل قاطع، ان الفلسطينيين لم يتعبوا من الانتفاضة، «وانهم على استعداد للاستمرار في مواجهة قوات الجيش الاسرائيلي، ولو كلفهم الامر تضحيات بشرية واقتصادية، ومزيداً من أوامر حظر التجول، وارتفاع في مستويات البطالة...» (المصدر نفسه).

وقد دلّت تجربة القادة العسكريين الاسرائيليين، ضد الانتفاضة، على ان زيادة وتيرة القمع والقسوة، تدفع الفلسطينيين، في المقابل، الى زيادة وتيرة التصدي والمقاومة، والى زجّ اعداد اكبر من سكان المناطق المحتلة في الفعاليات النضالية كافة. واذا كان بعض الاسرائيليين ادعى، سابقاً، بأن جزءاً من الفلسطينيين، فقط، يشارك في النشاطات المعادية للاحتلال، فان «سياسة القوة المطلقة أوجدت لدى الفلسطينيين، بأكملهم، دوافع كافية للقيام بأعمال عنيفة، يشارك فيها الرجال، والنساء، والشيوخ، والاطفال» (أوريال بن ـ عامي، عل همشمار، ٩/٣/١٩٩٠).

وليس ذلك فحسب، بل ان فترات الهدوء، التي قد تسود في بعض المدن والقرى من حين الى آخر، لا يمكنها ان توفّر الطمأنينة للجيش الاسرائيلي. فهي تبقيه أسير الارتباك حول مدى صحة قرار اخلاء تلك المواقع من قوات الجيش، نظراً الى ان ذلك الهدوء غالباً ما يرتبط بالظروف والتطورات المختلفة. وان حدوث أي طارىء غير متوقع، فذلك كفيل